"ما أعجب النعمة لي"

تعريب: مارك فرنسيس

"ما أعجبَ النعمةَ لي" هكذا تبدأُ واحدَةٌ من أَحَبِّ التَّرانيمِ عبرَ الأجيالِ المُتلاحِقَة، والَّتي تُعتَبَرُ أساساً للترانيم للكثيرِ من الطوائفِ الإنجيلية. مؤلِّفُ الكَلِمَات هو جُون نيُوتن John Newton، الذي أعلن نفسَه هالِكاً، والذي كانَ مرةً ضالاً لكنه وُجِدَ، مُخَلَصاً بالنعمةِ العَجيبَة.

ولِدَ نيوتن في لندن في ٢٤ تموز، ١٧٢٥، ابناً لِقُبطَانٍ لسفينةٍ تجارية كانَت تُبحِرُ في المتوسط. ولَّما بَلَغَ عمرُهُ إحدى عشرة سنةً، أبحرَ جُون مع والدِه ستَّ مَرَّات، قبل أن يتقاعدَ والِدُهُ الذي كانَ قد أصبَحَ مُتَقَدِّماً في السِّنّ. في العام ١٧٤٤، أُرغِمَ على الذَّهابِ إلى الخِدمَةِ العَسكَرِيَّةِ الإجباريَّة كَرَجُلِ حَرب، على مَتنِ السَّفينَة "هارويك". ولكن لَّما وَجَدَ الأحوال غير محتملة هربَ من على مَتنِ السَّفينة، لكنَّهُ سُرعَانَ ما أُلقِيَ القَبضُ عليه، وضُرِبَ علانيَةً، وكُسِرَت رِتبَتُهُ من ضابطٍ في البَحريَّة إلى بَحَّارٍ عاديّ.

وأخيراً بناءً على طلبه، تمَّ نقلُهُ ليُصبحَ بَحَّاراً يعمَلُ على مَتنِ سَفينَةٍ تُتاجِرُ بالعَبيد، التي أخذته إلى شاطئ "سييرا ليون" Sierra Leone. فأصبحَ عِندَها خادماً لتاجرِ عبيد، واستُغِلَ بقَسوَة. في بدايات سنة ١٧٤٨ أنقذَهُ قُبطَانُ سَفينَةٍ كان يعرف والده. أصبح جون نيوتن في النِّهايَةِ قبطاناً لسفينته الخاصة، التي خصَّصَها لتجارة العبيد.

مع أنهُ كانَ قد حصلَ في طُفُولَتِه على بعض الإرشادِ الديني من أمه، التي ماتت وهو ما زال طفلاً، تَخَلَّى منذُ تلكَ المرحلَة المُبكِّرَة من حياته عن كُلِّ القناعاتِ الدِّينيَّة. على أيَّةِ حال، عندما كان متجهاً لوطنه في السفينة، وبينما كان يُحاوِلُ قِيَادَةَ السَّفينَة وَسَطَ عاصِفَةٍ هَوجاء، اختَبَرَ ما صار يُشيرُ إليه لاحِقاً "بِتَحَرُّرِه العَظيم." ولقد دَوَّنَ في مُذَكِّراته أنَّهُ عندما كان كلُّ شَيءٍ يبدو وكأنَّهُ انتهى، وأن السفينة كانت ستغرقُ بالتأكيد، صَرَخَ قائلاً "يا رب، ارحمنا جميعاً". ثُمَّ تأمَّلَ لا حقاً في غرفته الصغيرة بما قالَهُ، وبدأ يُؤمِنُ أنَّ الله خاطَبَهُ وسطَ العاصِفَة، وأنَّ النِّعمَةَ كانت قد بدأت تعمَلُ في حياته.

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

ومنذ ذلكَ الحين ولبقية حياته، صَارَ يحتَفِل باليوم العاشِر من آيار ١٧٤٨، كيَوم تجديده وتغيّره، يـــوم الإذلال والإتّضاع الذي فيه أخضَعَ إرادتَهُ لسُلطَةٍ عُليا. "كَمْ مِنْ تَجَارِبَ رَأَتْ، عَينِي فِي ذِي الحَيَاة، تَكفِي لَنَا نعمَتُكَ، يا ربَّنَا الإله." تابع في تجارة العبيد لبعض الوقت بعدَ اختبارِه التَّجديد، ولكنَّهُ حرِص أن يُعامَل العبيد تحتَ عنايَتِه بطريقة إنسانية.

تزوَّجَ في العام ١٧٥٠ من ماري كاتلت Mary Catlet، التي كان يُحبُّها لسنين عديدة. وبحُلُـــول العام ١٧٥٥، وبعدَ مرض شديد، توقف عن الملاحة للأبد. خلالَ المرحلَة التي عَمِلَ فيها بحَّاراً، كان يعلّم نفسه اللاتينية، بالإضافَة إلى مواضيعَ أُخرَى. من العام ١٧٥٥ إلى العام ١٧٦٠، عَمِـــلَ نيـــوتن مُراقِبـــاً لحَرَكَة المَدِّ والجَزْر في ليفربول Liverpool، حيـــثُ تعـــرف علـــى جـــورج وايتفيلـــد George Whitefield ، الشماس في الكنيسة الأنغليكانيَّة، الواعظ التَّبشيريّ، والقائد في الكنيـــسة الكالفينيـــة الميثوديستية. أصبح نيوتن تلميذ وايتفيلد المتحمس. في ذلك الوقت، التقى نيُوتن أيضاً بجون وسلي John Wesley مؤسس طائفة الميثوديست. أكمل نيوتن في تثقيف ذاته، فَتعلَّمَ العبرية واليونانية.

ثُمَّ قَرَّرَ أن يُصبحَ خَادِمَاً مُتَفَرِّغَاً، فتقدم بِطَلَب إلى أُسقُف "يورك" York لرسامته. رَفَـــضَ الأســـقَف طلبَهُ، لكنَّ نيوتن أصر على الوصول إلى هدفه، فَتَمَّتْ رِسَامتُهُ أَخِيرَاً عَلَى يَدِ أُسقُف "لينكولن"Lincoln، وَقَبِلَ برعاية "أولني" Olney، في باكنجهامبشر Buckinghamshire . فاكتَظَّت كنيسةُ نيُوتن بالحُضُورِ خلالَ اجتماعات العبادَة، ممَّا اضطر إلى تَوسيعها. لم يَعِظْ فقط في أولني، بل في شَتَّى أنحـــاء بَريطانيـــا. في العام ١٧٦٧، استَقَرَّ الشَّاعرُ وليم كوبر William Cowper في أولني، فأصبح هُوَ ونيوتن صَديقَين.

ساعد كوبر نيوتن في خَدَمَاته الدِّينيَّة وفي زياراته لأماكن أخرى. لم يكُنْ لديهم اجتماعاً أسبوعياً عاديَّاً فحَسب، بل شَرَعُوا أيضاً بعقد سلسلَة من اجتماعَات الصَّلاة الأُسبُوعيَّة، وكان هدفُهُم كِتَابَـــةُ تَرنيمَـــة جَديدَة لكُلِّ اجتمَاع. ولقد تعاوَنُوا في تأليف وإصدار عدَّة نُسَخٍ من "ترانيم أولني"، والتي حققت شـــعبية مستمرة. أول نسخَة نُشرَت في العام ١٧٧٩، كانت تحتوي على ٦٨ ترنيمَةً لكُوبر و٢٨٠ لنيوتن.

أيضاً من مساهمات نيوتن في الترانيم الإنكليزية المَحبُوبَة التي لا تَزَالُ تُـــرَنَّمُ اليـــوم، ترنيمـــة How Sweet the Name of Jesus Sounds، وأيـــضاً Glorious Things of Thee Are Spoken، بالإضافَة إلى "ما أعجب النعمة لي،" التي عنوانها بالإنكليزية Amazing Grace، والتي ربما كتبت ما بين العام ١٧٦٠ و ١٧٧٠ في أولني. وهذه الترنيمة ربما قد كُتِبَت لإجتماع صلاة أسبوعي. وعبرَ الـــسِّنين، أضاف كُتَّابٌ آخرُونَ بعض الأعداد على هذه الترنيمة التي أصبحت تُعرَف بـــ "Amazing Grace"، والتي لم تَكُنْ تُعرَفُ بهذا الاسم في كتاب "ترانيم أولني"، ولربما أُضيفَت أيضاً أعدادٌ من تـــرانيم أخـــرى لنيوتن لهذه الترنيمة.

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com